

بؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعجم

١٣١٥

بؤتي عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأولئك الذين هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر سلخ رمضان ٣٣٠ هـ قى ٢٠ الصيف الثالث ١٢٩١ هـ من ١١ سبتمبر ٩١٢ م)

بشائر عيسى ومحمد^(١)

في المهدين القتيق والجديد

٦

استدراك على الفصل الاول

« وعلى نبوة دانيال المذكورة في صدر هذه الرسالة »

جاء في دائرة المعارف الانكليزية مجلد ١٣ ص ٤٢٧ و ٤٢٨ في حرب الرومان مع اليهود ما يحصله (أن اليهود عصوا الرومان وخرجوا عليهم فأرسل الامبراطور (نبرو) أحسن قواده (فسپاسيان) وهو أبو (طيطس) لقاتلتهم وإخضاعهم . فبدأ (فسپاسيان) الحرب معهم في (الجليل) في ربيع سنة ٦٧ ميلادية . وفي سنة ٧٠ حوصرت أورشليم تحت قيادة (طيطس) ودارت رحى الحرب فيها إلى أن تم

(١) تأليف لافسر في الجزء الثامن ص ٥٨٦ بقلم الدكتور محمد توفيق صديقي

تخريبها واحراق هيكلها في شهر أغسطس من هذه السنة . ولكن لم تخضع جميع اليهود تماما وبنه عصيانهم ومقاومتهم للرومان الا في سنة ٧٣ ميلادية) اباختصار ومن ذلك يتبين أن الحرب الحقيقية ابتدأت وانتهت في ظرف سبع سنين وبطلت الذبيحة والتقدمة في وسطها (أي في وسط هذا الاسبوع من السنين)

وفي هذه المدة كان كثير من كبراء اليهود وعظماهم يخالفون باقي قومهم في هذه الحرب فمالوا الى جانب الرومان وخرجوا اليهم وأظهروا لهم الطاعة والبقاء على مواليتهم وعهدهم فلم يسيئهم بأذى مدة هذه الحرب حتى انتهت وهم مسالمون معاونون للرومان والرومان مسالمون لهم . ومن هؤلاء (يوسيفوس) المؤرخ اليهودي الشهير فقد كان مع (بطرس) ونصح قومه كثيرا بالخضوع والطاعة . فهذا هو المراد بقول دانيال فيما سبق ٩ : ٢٧ (ويثبت) أي جيش الرومان كما يفهم من السياق) عهدا مع كثيرين (وهم كبرائهم الذين فروا منهم) في اسبوع واحد وفي وسط الاسبوع (أي سنة ٧٠) يبطل الذبيحة والتقدمة باحراق الهيكل وتدميره وتشتيتهم

وقوله ٩ : ٢٦ (يقطع المسيح وليس له) وجدنا أن الترجمة الصحيحة لاصطلاح المبري (يقطع المسيح ولا يكون له شيء) أو (لا يبقى له أحد) ومثل ذلك ترجم في بعض التراجم الانكليزية والامريكانية وهو عين ما قلناه سابقا من أن معناه ينهي ملكهم وينقطع مسيحتهم بدمهميا ولا يبقى له شيء من القوة والملك والسلطة أو التسل والحلافة بل ينحني محوا تماما وتزول دولتهم وقد كان ذلك فلم يمد ملكهم القديم وزال ما عاد لهم من مجد منذ ذلك الحين

وعليه فهذه النبوة لا علاقة لها مطلقا بمسألة الصلب المزعوم حتى لو حلت على المسيح عيسى كما لا يخفى على المتأمل

وبما يؤيد عقيدة المسلمين في المسيح وعدم صلبه وعدم الوهيته من كتب اليهود والنصارى ما جاء في الاصحاح ٤٩ من كتاب أشعيا وهو باعترافهم نبوة من المسيح قال ٢ (. في ظل يده نجأني وجعلني سهبا مبريا . في كتابته أنجاني ٣ وقال لي أنت عبدي اسرائيل الذي به أعبد ٤ لكن حتى

عند الرب وعلمي عند إلهي ٥ والآن قال الرب جابلي من البطن عبدا له
والهي بصير قوتي ٧ هكذا قال الرب قادي اسرائيل قدوسه لاهان النفس لسكروه
الامة لعبد التسليطين ينظر ملوك فيقومون . رؤساء فيسجدون -- الى قوله -- ٨ في وقت
القبول استجبتك . وفي يوم الخلاص أعتك فأحفظك وأجملك عبدا للشعب)
وهو صريح في أن المسيح عبدالله وأنه سيحميه وبجيب دعائه وينجيه ويحفظه وقوله
(رؤساء فيسجدون) المراد به سجدوا الا كرام والتمظيم والخضوع كما قال في حق
سلمان مز ٧٣ : ١١ (ويسجد له كل الملوك) وقد سجد مثل هذا السجود موسى
عليه السلام لحية يثرون (خر ١٨ : ٧) وبنو الانبياء لايشع (٢ مل ٢ : ١٥)
وقال في مزمو ٩١ : ٩ (لانك قلت أنت يارب ملجأى جعلت الي مسكنك ١٠
لا يلاقك شر . ولا تدنو ضربة من خيبتك ١١ لانه يوصي ملائكته بك لكي
يحفظوك في كل طرقك ١٢ على الايدي يحملونك لثلا تصدم بحجر رجلك ١٣ على
الاسد والصل نطأ . الشبل والثعبان تدوس ١٤ لانه تملق بي آتية . أرفمه لانه
عرف اسمي ١٥ يدعوني فأستجيب له . معه أنا في الضيق . أقتده وأجده ١٦ من
طول الايام أشبعه وأريه خلاصي) وكون هذا المزمور في حق المسيح يفهم من
انجيل متى (٤ : ٦ - ٨) واذا كان المراد بالرفع هنا الرفع الجسداني كما يؤيده
قوله (من طول الايام أشبعه) فله مثل عندهم في غير المسيح فقد رفع أخنوخ
(نك ٥ : ٢٤ وعب ١١ : ٥) وكذلك ايليا (٢ مل ٢ : ١١)
وجاء في المزمور ١٠٩ (وأوله في حق يهوذا الاسخريوطي كما قيل في سفر
الاعمال ١ : ٢٠) قوله عن لسان المسيح بعد أن تكلم على يهوذا وغيره من أعدته ٢١
(أما أنت يارب السيد فاصنع معي من أجل اسمك . لان رحمتك طيبة نجني ٢٢
فاني فقير ومسكين أنا وقلبي مجروح في داخلي ٢٥ وأنا صرت عارا عندهم . ينظرون
الي وينفضون رؤوسهم) أنظر أيضا متى (٢٧ : ٣٩) أعني يارب إلهي . خلصني
حسب رحمتك ٢٧ وليعلموا ان هذه هي يدك . أنت يارب فملت هذا ٢٨ أما هم
فيلعنون . وأما أنت فبارك . قاموا وخزوا . أما عبدك فيفرح ٢٩ ليلبس خصائي
خجلا وليهطفوا بخزيم كالرداء ٣٠ احد الرب جدا بشي وفي وسط كثيرين

أسبحة ٣١ لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه) وهو صريح في أن الله نجي المسيح عليه السلام من القاضين عليه وأن يهوذا وقع فيما دبره لسيدته كما أشار داود إلى ذلك في هذا المزمور بقوله ١٠٩ : ٧ (إذا حركم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطيئة) إلخ إلخ

وقال في مزمور ٣٤ : ١٧ (أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أقتدهم ١٨ قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلص المنسحق الروح ١٩ كبيرة هي بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب ٢٠ يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر ٢١ الشر يمت الشرير ويغضو الصديق بساقبون) فهذه العبارات هي باعترافهم في حق المسيح كما في يو ١٩ : ٣٦ وهي صريحة في نجاة المسيح وخلصه من كل البلايا والمصائب وفي عظام أعدائه ومبغضيه. وقوله فيها (يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر) أدل على قولنا بدم الصلب منه على قولهم بالصلب لا ينكسر عادة يستلزم تفتت عظام اليدين والقدمين وهو شيء لا يمكن توقيه في الصلب ولا بالتمدد والحذر الشديد فكيف إذا لم ينكسر واحد من عظامه ؟ فالحق أن المراد من هذه العبارة أن الله يحفظ جسمه كله وبصوته من كل أذى يبلغ فهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل. أما إذا صح أنه صلب فأى أذى أعظم من ذلك ؟ وما معنى قوله إنه ينقذه وينجيه ويخلصه من كل البلايا فأى بلية أعظم من الصلب والقتل ؟ وإذا كان المراد أنه يصلب حتى يموت ولكن لا ينكسر عظم من عظامه فما فائدة ذلك وما وجه البشارة به ؟ وهل يتفق هذا مع قوله ينقذه ويخلصه وينجيه ؟ فمن أي شيء نجاة إذا ؟

وقال المسيح عليه السلام لما أرسل الفريسيون ورؤساء السكينة خداما ليكسوه (يو ٧ : ٣٣) « أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني ٣٤ ستطلبوني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » وهو صريح في أنهم لن يجدوه ولن يقبضوا عليه

وبما يدلك على قدرته عليه السلام على التشكل بأشكال مختلفة والاختفاء عن عين الناس قول مرقس ١٦ : ١٢ (وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى) وقول لوقا ٢٤ : ١٥

(إقرب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما ١٦ ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته) وجاء في لوقا ٢٤ : ٤٢ و ٤٣ قوله بعد قيامة المسيح المزعومة (فأرلوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد غسل فأخذ وأكل قدامهم وهو يدل على أنه قام بين جسده المادي الذي كان به قبل الصلب وإذا كان يقدر أن يختفي به بعد قيامته كما قال لوقا (٢٤ : ٣١) فاي مانع يمنع من اختفائه به قبل الصلب وهو هو ؟ على أنه كان يختفي فعلا قبل الصلب كما قال يوحنا وكان يمشي في وسط اليهود بدون أن يروه (يو ٨ : ٥٩) راجع أيضاً (يو ١٠ : ٣٩) ومثله ورد في لوقا (٤ : ٣٠)

وقال عليه السلام ايضاً يو ١٦ : ٣٢ (هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن نفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتركوني وحدي . وأنا لست وحدي لأن الآب معي ٣٣ قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام . في العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم) وهو بشارة من المسيح لتلاميذه بأن الله سينجيه وينقذه وإلا فهل يصح أن من كان الله معه ومن غلب العالم يغلبه اليهود وبصلبونه رغمًا عن إرادته كما بيناه في صفحة ٨٠ ؟ وكيف يتفق هذا القول مع قول المصلوب كما في متى ٢٧ : ٤٦ (إلهي إلهي لماذا تركتني) مع أن الاول صريح في أن الله لم يتحرك ؟

هذا وقد أنكر الصلب كثير من فرقهم في مبدأ النصرانية أي قبل الاسلام بسنين عديدة منهم السيرثيين (Cerinthians) والباسيلديين (Basilidians) والكار بوكراتيين (Carpocratians) والتايبانوميين أتباع تاتيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد الشهير وغيرهم كثيرون وكثير من فرقهم القديمة ايضاً كانوا موحدين عنكرين لأوهية المسيح وأشهرهم (الأريوسيون) (Ariens) ومنهم كان الامبراطور (قسطنطين) أول قياصرة الرومان المسيحيين (وكذلك أم الطيطون) أي (الجرمانيين) ولا تزال منهم طائفة كبيرة في أوربا يسمون الموحديين (Unitarians) إلى اليوم . وقال فوتيوس (Photius) إنه قرأ كتابا يسمي (رحلة الرسل) فيه أخبار بطرس ويوحنا واندراس وتوما وبولس

وعما وجدته فيه هذه العبارة (إن المسيح لم يصاب ولكن صلب غيره وقد ضحك
بذلك من صالحه) أي الذين ظنوا أنهم صلبوه

وقد ذكرنا أكثر هذه الفرق المنكرة للصلب في كتابنا (الخلاصة البرهانية
على صحة الديانة الإسلامية) وفي كتاب (الدين في نظر العقل الصحيح)

واعلم أن الذين قبضوا على المسيح ما كانوا يعرفونه ولذلك أخذوا معهم

يهودا ليدهم عليه وأعطاهم علامة (متى ٢٦ : ٤٧ - ٥٠ ومرقس ١٤ : ٤٣ -

٤٦ أنظر أيضا أع ١ : ١٦) فكان دليلهم الوحيد هو يهوذا كما يفهم من

جميع نصوص العهد الجديد وخصوصا التي أشرنا إليها وقد كان القبض عليه

ليلا كما يفهم من سياق القصة في جميع الأناجيل (انظر متى ٢٦ : ٣١ و ٣٤ و ٢٥

و ٢٧ : ١ ومر ١٤ : ٢٧ و ٣٨ - ٤٢ ولوقا ٢٢ : ٥٣ و ٦٦ و ١٨ : ٣ و ٢٧ و ٢٨)

ويظهر من انجيل يوحنا أنه حصل لهم حينما أرادوا القبض عليه هيئة منه

حتى أغمي عليهم وسقطوا على الأرض (يو ١٨ : ٦) وما كان هيرودس يعرفه ،

ولم يجب القبض عليه هيرودس بشي (لو ٢٣ : ٨ و ٩) . فهنا أيضا موضع

آخر للشك

وكان يلاطس هو وامراته يريد إتهام المسيح (متى ٢٧ : ١٥ - ٢٥

ولوقا ٢٣ : ١٣ - ٢٥) فيجوز أنه غشم وأطلق لهم غيره وخصوصا لأن

رؤسائهم وكذا القابضين عليه ما كانوا يعرفونه كما سبق وكان يلاطس يعتقد

أنه بري من كل ما نسب إليه (متى ٢٧ : ٢٤)

وإذا كان من معجزات بطرس تلميذ المسيح النجاة من السجن (أع

١٢ : ٦ - ١٠) وكذلك بولس وسيلا (أع ١٦ : ٢٥ و ٢٦) فهل من البعيد

أن يكون المسيح عليه السلام أتخذ من السجن كما أتخذت اتباعه أو أنه هرب

منه أو أن يلاطس أبدله بغيره فظنوه هو وهو ليس المسيح فذهب إلى

موضع آخر كما ذهب بطرس بعد السجن (أع ١٢ : ١٧) وهناك توفاه الله

أورفضه إليه فلم يجدوه كما قال عليه السلام (يو ٧ : ٣٤) وكما لم يجد الحسنون

الرجل إيليا بعد رفته (٢ مل ٢ : ١٧) وكما لم يعرف أحد مكان موسى بعد موته (تث ٣٤ : ٦)

فانظر هداك الله إلى هذه النصوص وتدبرها بين البصيرة تجد أنها كلها تؤيد عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام وتنقض عقيدة النصارى فيه ولكنهم يفسون في تأويلها ويتكلفون كما هي عادتهم

ومن العجيب أنهم يتركون مثل هذه النصوص والنبوءات السابقة الفصيحة الصريحة ويتمسكون بمبارات من نبوءات غيرها مبهمة وقابلة لكل تأويل وهي ليست نصا في عقائدهم ولا تنهض لهم بها حجة كما أريناك في هذا الكتاب هداهم الله إلى الحق والصواب

﴿ الفصل الرابع ﴾

« في بشار محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته »

تمهيد :

اعلم ان تغير حال أمة كالأمة العربية واحياءها واحياء أمم الأرض بها وقلب نظاماتها وصبغاتها وإصلاح جميع أحوالها وأمورها وإخراجها من الفساد والاختلال والفوضى برجل كمحمد (ص) في حاله ونشأته وفقره وريته وأميته وبذلك السرعة العجيبة في ذلك الزمن القصير أمر لم يهد له مثيل في تاريخ البشر . وليس له نظير فهو من أعجب العجائب وأغرب الخوارق

رجل فقير يتيم أمي بعيد عن العلم والعلماء في ناحية من الأرض بعيدة عن كل نظام ومدنية ناشئ في المهجبة وبين أهل له وأقارب عريقين في الجهل والكفر والوثنية فأوجد وحده من الجهل علما ومن الفساد نظاما ومن الكفر إيمانا ومن الشرك توحيدا ومن التشبيه تنزيها ومن التفرق اتحادا ومن التخاذل اثلافا ومن

الضعف قوة ومن الهجينة مدنية وهو في كل ذلك الليث الغضنفر والقائد المحنك
والخطيب المصقع والبلغ المعجز والسياسي الحاذق والمنبئ الصادق والشارع الحكيم
والعلم الماهر الخبير لقومه بما لم يعلموه وما لم يأنفخوا اليه والتقى الورع والزاهد الناسك
العابد والمتبع بالحلال والمتلذذ بالطيبات والروؤوف الرحيم والقاسي على الظالمين
ومثال الأدب والتهديب والرقعة والكمال والجمال والنظافة والأعمال الصالحة والایمان
الصادق الصحيح والمصلح الاكبر لامته ولسائر العالم اني والله لا أدري ماذا أقول
وكيف أصفه وبماذا أعبر عنه بما يخالج قلبي فيه فهو الانسان الكامل الجامع
للأضداد والمتناقضات والذي يمجده فيه كل طالب ما يشتهيهِ والقُدوة الحسنة في كل
شيء . والمثال الصالح الوحيد في كل صفة أو خلق أو عمل (لقد كان لكم في رسول
الله أسوة حسنة)

ألا ترى أنه أوجد من العدم أمة حملت لواء العلم والعز والمجد والمدنية
الصحيحة والحريّة والأخاء والمساواة إلى أم الأرض قاطبة مع شدة الحاجة إلى بعثته
في ذلك الزمن الذي ساد فيه الاختلال والفساد والكفر والظلم والاستبداد وسوء
الحال والجهل فغيرت وجه الأرض وقلبت نظمات الأمم وصبغت بها بصبغتها في اللغة
والدين والأخلاق في سنين قليلة وبسرعة خارقة للعادة

انظر الى دول هذا العصر مع عظمتها وقوتها وعلمها وأموالها واقتدارها كيف
عجزت عن صبغ محكومياتها بصبغتها في الدين واللغة والجنس والأخلاق مع صرف
كل مجهوداتها ومعلوماتها وأموالها واقتدارها في ذلك فلم تزد الناس منها إلا
فورا وسخطا وبغضا مع مضي المدد الطويلة عليها وتسلطها على جميع مصادر حياة
تلك الأمم فلم تنل منها مع قوتها في السنين العديدة ما ناله العرب مع ضعفهم في
السنين القليلة

فمحمد (ص) الذي أوجد تلك الأمة وذلك الدين وتلك الدول الآخذة بتعاليمه
المتأثرة بأقواله وأفعاله إلى اليوم والذي له أكبر سلطان على نفوس الملايين من
البشر ، أيكون له كل هذا الاقدار وذلك السلطان مع مرور الأعوام والدهور ودينه
لا يزداد إلا انتشارا - أيكون كل ذلك بدون عون إلهي ومدد رباني ؟

نبؤوني بعلم إن كنتم صادقين . أي نغلبوا به بين البشر ؟ أي مثال له بين الناس ؟ ولماذا كان منفردا وخارقا للمعادة في كل شيء ؟ أي مصلح قام بين البشر وكان مثله في حاله ونشأته وكانت أمته كأمة العربية البدوية الامية وكان منه ما كان من محمد صلى الله عليه وسلم في العالم وبسرعة عجيبة كئذ أو دام عمله في الارض الى اليوم ؟ ولماذا خاب كل مدع للنبوة من بعده وفشل - تصديقا لقوله عن نفسه انه خاتم النبيين - ؟ فإياها المؤرخون المفكرون والباحثون المتدبرون في أحوال الاجتماع وطبائع البشر ! لماذا كان محمد شاذًا فذًا في جميع أعماله دون سائر البشر ؟ ولماذا كانت له تلك القدرة العجيبة والسلطان السريع والتأثير المدهش في أم الارض قاطبة من قبل ومن بعد إلى قيام الساعة ؟ وكيف نمل ذلك تعليلا مقولا صحيحا بغير الاعتقاد بصدقه ؟

أليس عمله في قلب الامة العربية وبعثها من الموت إلى الحياة بسرعة من يقول للشيء : كن فيكون أبلغ من قلب موسى العصاحية ومن إحياء عيسى ثلاثة أموات ؟ وأيهما أدل وأبقى بالنبوة ؟ انظر إلى رجلين ادعيا علم الطب فأثبت أولها عمله به بتأليفه فيه وبمحسن علاجه ونجاحه وشفائه للمرضى في أقرب وقت وأثبت الثاني دعواه علم الطب بأعوبة كالأعيب المشهودين بأن رمى بحبل إلى السماء ثم تعلق به وصد عليه فأيهما أتى بما يناسب دعواه ودا العلاقة بين الطب وبين تلك الأعيب ؟ نعم قد يدهش البسطاء ويصدقون الثاني الذي أدهشهم وحيرهم بالأعيبه وعجائبه ولكن لا يكون تصديقهم هذا مبنيا على برهان عقلي منطقي صحيح كذلك الفرق بين محمد والانبياء قبله فمحمد أثبت دعواه بما يناسب مدعاه والانبياء الآخرون أتوا بما لا علاقة له بمدعاهم ولكنه يدهش الناس ويحيرهم حتى يدعوا له ويهابوهم فيخضعوا (وما ترسل بالآيات إلا نخوفا)

هذا ولما كانت الأم القديمة كالأطفال جاءهم الانبياء بما يناسب عقولهم ودرجة سذاجتهم، ولكن كان الجنس البشري قد بلغ رشده في عصر النبوة المحمدية ثم ارتقى بعده واستوى فلذا جاءه بما يليق بعقول راقية وينطبق على البرهان المنطقي الصحيح ولذلك تجد الناس الآن ينفرون من ذكر المعجزات الفابرة وقل

في علمائهم من يود صراع أقاصيصها . ولا ينكر الترقى التبريمي للبشر الا المكابر
المعاند ويضينا عن اثبات ذلك أنه صار الآن عقيدة من عقائد جميع العلوم الحديثة
فهم كان تلك الأمم درجات من المدنية ولكنها دون مدينة العرب ومدينة
الأفرنج بمراحل

خذ مقياسا لعقول أمة موسى كيف كانوا بين حين وآخر يرتدون ويعبدون
الأصنام ولعقول أمة عيسى كيف حولوا دينه الصحيح دين - التوحيد والتنزيه - من
قديم الزمان إلى وثنية لا تختلف عن وثنيات الأمم المجاورة لهم في شيء - تلك
الوثنية المشاهدة الآن في جميع عقائد النصرانية وعباداتها وتعاليمها وعبارات كتبها
حتى فرت أهل العلم من الدين كله في أوربة لجهلهم بالاسلام فظنوا أن جميع
الاديان كالنصرانية فخرجوا منها إلى ما يسميه القسيسون بالألحاد وما هو إلا ميل
القطرة البشرية السليمة إلى الدين الحق دين التوحيد والتنزيه والعقل وحب الخير
وبغض الشر فظنهم الناس كافرين وما هم في الحقيقة إلا مؤمنون ولكن بعقائد
غير عقائدهم تنطبق على العلم والعقل الصحيح

ارجع بنا إلى القرون المسيحية الاولى تر الناس تضاربت عقائدهم وأفكارهم
في كافة أصول الدين الأساسية وكثرت مذاهبهم فيها وتهددت ومزجت النصرانية
بالفلسفات القديمة مزجا أضاع حقيقتها حتى ذابت فيها ولم يبق للناس في تلك
الأزمان - لفصر عقولهم - إلا الشرك والتجسيم وعبادة الصور والصلبان والتماثيل
وكلما قام فيهم موحد أو مصلح حكموا بكفره ومروقه حتى أريقت دماء
العالمين بسبب ذلك ظلما وعدوانا وتبدل دين المحبة والوفاق إلى بغض وشقاق
وانهدع بيان الكنيسة المسيحية من قديم الأزمان

قام اريوس بالتوحيد وواقفه على ذلك بعض الاساقفة والامبراطور قسطنطين
ففسده كما قلنا - ثم وجد له من أم الجرمانيين أتباع عديدون ولكن ميل جمهور الناس في
ذلك الزمن إلى الشرك والوثنية جعل أكثر أعضاء مجمع (نيقية) سنة ٣٢٥ م على
الحكم عليه بالزندقة والمروق وتأصلت المداوة بين أتباعه وبين سائر المسيحيين

ولما فشت في الناس عبادة الصور والتماثيل واشتدت حتى صارت جزءاً من الدين قام بعض الناس ومنهم القياصرة كليون الثالث لمحقتها وسماها «ذاك» كاسري التماثيل « (Iconoclasts) وكان ذلك في القرن الثامن والتاسع فحكم البابا جريجوري الثاني والثالث بمرمانهم ومروقهم ولما اجتمع مجمع القسطنطينية سنة ٨٤٢ كان أيضاً مضاداً لهم وفاز فيه العابدون لها مع نهي كتبهم عن عمل الصور والتماثيل وعبادتها والاشراك بالله تعالى نهياً صريحاً لا يقبل التأويل (أنظر ت ٤ : ١٥ - ١٩ و ٤ : ٦ و ١٣ : ١ - ٥) فكان ذلك سبباً آخر من أسباب الشقاق بين المسيحيين

ولما قام لوثر بالاصلاح البروتستنتي في القرن السادس عشر اشتعلت نار الحروب بين المسيحيين وخضبت الارض بدماء الالوف من الابرياء المصلحين في مثل مذبحه اليهود غينوز (Huguenots) بفرنسة سنة ١٥٧٢ ميلادية ومع رقي البشر الآن ووجودهم في عصر النور والعلم ترى التمثيل منتشرًا بين جميع فرق المسيحيين الا قليلاً من الموحدين (Unitarians) وكذلك عبادة الصور والصلبان في الكنيسة الارثوذكسية والكاثوليكية كما أقرتها مجامعهم القديمة التي عليها التمويل في كل مسائل دينهم والحكم على كتبهم . ومن فرقهم القديمة من عبد مريم العذراء وكانوا يدعون بالمريمين ومنهم بعض أساقفة مجمع نيقية وكان الثالث عندهم مركبا من الاب والمسيح ومريم على أنهم ثلاثة آلهة ولا تزال صورة مريم للآن في الكنائس الرومانية والشرقية يسجد لها وينتقرب وبصلي لها ويطلب منها النصارى ما يشتهون وهذا سبب نهي القرآن الشريف عن اتخاذها إلهة مع الله تعالى عما يشركون (انظر سورة المائدة ٥ : ٧٣ - ٧٥ و ١١٦) لان نصارى العرب كانت تعبدها من دون الله

من ذلك تعلم حكمة تشديد الشريعة الاسلامية في النهي عن التصوير واتخاذ التماثيل وتمظيم القبور . وتعلم حاجة العالم في ذلك الوقت إلى الاصلاح العظيم الذي جاء به الاسلام . راجع كتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية يتضح لك منه ان الاسلام سابق لكل اصلاح عملي ناجح فإني لمحمد ذلك لولا وحي الله ؟ ولماذا

شد عن العالم كله في ذلك الوقت الذي كانت فيه الامم غارقة في عبادة الصور والتماثيل ؟ ولماذا لم يتأثر عقله بما يراه عند قومه وأهله وأهل الكتاب خصوصا الذين يزعم المبشرون أنهم مملوه مع أنه هو الذي جاءهم بالاصلاح قبل أن يعرفوه ونهاهم عن عبادة المسيح ومريم والصور والصلبان . فكيف اقتنع بصحة عقيدته في التوحيد والتنزيه وهي مخالفة لما كان عليه جماهير الناس في العالم كله إلا أفرادا قليلين ؟ وكيف عرف أن الحق مع هؤلاء دون أهله والأكثرين من قومه ؟ وذلك منذ طفولته قبل أن يكون للمقل مجال في البحث والتفكير ، ولماذا كان محمد هو السابق للعالم في اصلاح كل فساد في أمور الناس الاجتماعية دينية كانت أو دنيوية اصلاحا عمليا وناجحا ؟ فمن تعلم هذه الطرق العملية الناجمة في سياسة الناس والتأثير فيهم والوصول إلى قلوبهم وعقولهم حتى صاروا طوعا وإشارة في كل شيء فلك نواصي العالمين وفاز في ذلك فوزا مينا لم يسبقه فيه أحد من المصلحين والنبين ؟ فإذا كان لوثر وغيره بعد الآن من كبار المصلحين ألا بعد محمد الذي ظهر قبله في وسط الوثنية المحضة محاطا بها من جميع الجهات وأصاح كافة أمور الناس وأحوالهم وأنى بالدين الحق والتوحيد الخالص - ألا بعد هذا اكبر مصلح ظهر على الأرض ؟

لذلك قال تعالى ٦٢ : ٢ « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ٣ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم (١) وهو العزيز الحكيم » وقال ٢١ : ١٥٧ « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »

لله الحمد !! قد ظهر في الافرنج الآن كثيرون ممن اهتدى إلى صواب جميع ما أتى به

(١) حاشية : قوله (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) معناه يعلم آخرين غير العرب من جميع الامم الاخرى فانهم صاروا من العرب لاني بلادهم صارت بلاد العرب ولنتهم لغة العرب وكذلك دينهم وعاداتهم وقد اختلطوا بالعرب بالزواج وغيره حتى صاروا منهم في كل شيء ولذلك قال (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) أي لم يتجنسوا بالجنسية العربية الآن ولم يلحقوا بهم بعد ولكنهم سيلحقون بهم فيما بعد في كل شيء . فهي إشارة بدخول الامم الاخرى في الاسلام واستلام العرب بلادهم وصيرورتهم من العرب جنسا ودينا ولغة وعادة الخ الخ حتى صار لفظ العرب يطلق على كل المسلمين من جميع الاجناس لانهم أمة واحدة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) صدق الله العظيم

عليه السلام ومنهم من أسلم ظاهرا وباطنا بعد أن كانوا يمدونه من أكبر الكذابين والدجالين لكثرة ما اقتراه عليه قسيسوهم في تلك المصور المظلمة حتى أنهم ادعوا أن لمحمد صنما من ذهب يعبده المسلمون وهم الذين لا يعبدون إلا الله وحده ويصلون له خمس مرات في كل يوم ويصيحون باسمه تعالى في كل واد وفي كل مرتفع ويصومون له شهر رمضان في كل سنة

الانبياء الكذبة يعرفون من ثمرة عملهم كما قال المسيح عليه السلام (متى ٧: ١٦-٢٠) ولا يأتي الشرير بالخير والأصلاح للناس كافة والله تعالى لا يؤيد الكذابين الدجالين المضلين للناس (راجع مزمو ٦: ١ و ٥: ٦ و ٣٤: ١٦ و مز ٣٧) فكيف إذا أبد محمدًا صلى الله عليه وسلم حتى نجح في عمله هذا النجاح الباهر المعجيب السريع الذي لم يهد له مثل في التاريخ؟

رجل قام باسم الله ودعا الناس باسمه وقال وعمل كل شيء باسمه ونسب إليه تعالى كل عمل من أعماله ولم يكذب الله تعالى ولم يخذله أو يقتله كما فعل بالكذابين بل ثبته وأيده وقواه ونصره ونجحه في جميع مساعيه ومقاصده وصدقته في كل ما أخبر به عنه ورفع ذكره وأعلى شأنه حتى صار اسمه يذكر بجانب اسم الله على السنة الملايين من البشر في كل بقعة من الأرض فهل يكون هذا من الكذابين؟

ولماذا لم يقم الله تعالى واحدا آخر غيره عمل مثل ما عمل ونجح مثل نجاحه أحصوا الملوك العظام والساسة الماهرين والقواد المحنكين والخطباء البلغاء والمنشئين المحيدين والكتاب الممتننين والشارعين الحكماء والوعاظ المؤثرين والانبياء والصالحين وهؤوسى الممالك والدول العظام وأروني من منهم جمع كل هذه الصفات وغيرها مما أعجز عن التعبير عنه وعن حصره هنا

من منهم كان بعيدا عن العلم والعلماء والكتابة والقراءة ناشئا بين الواهين والجهلة الخرفين والمشركين والوثنيين؟ من منهم كان فقيرا يتما أميا إذا أراد أن يتعلم شيئا لا يمكنه إلا إذا اختطفه من أفواه بعض الجهلة الغافلين واختلسه اختلاسا دون أن يشمر به أحد وإذا أراد أن يطلع على كتاب لما تيسر له ولا عرف فيه شيئا ولا وجده بين أمة أمية لا كتب لها ولا مكاتب ولا مدارس؟ - من منهم كان في

هذه الظروف كلها وهذه البيئة وهذا الوسط ثم أصلح أمة كالامة العربية وأوجد
 أمة كالامة الاسلامية وأسس دولا كدولها وأوجد كتابا كالقرآن وشرعا ودينا
 كالاسلام وأعجز الناس جميعا عن القيام بعمل واحد كأعماله، والاثيان بسورة
 كسور قرآنه، وجمع كل هذه الصفات وبلغ فيها شأوا لا يصل اليه أحد فكان
 أكبر ملك وأعقل سياسي وأبلغ منشى وواعظ وأحكم شارح وأشجع قائد وأعظم
 غازي وقاطح وأورع متدين وأنصح ناصح وأكبر مرشد للناس في كافة شؤونهم
 الدينية والدنيوية وأعظم معلم للأفكار والأخلاق والمقائد والمبادئ والمعاملات
 وأوسع مؤسس وأدوم منشى للدول والممالك

وهو في كل ذلك لم يعلم شيئا يكفي لازالة جزء من ألف مما هو لمن الاوهام
 والخرافات والخزعبلات عنه وعن الناس ولم يتدرب أو يتدرج أو يتدرن قبل النبوة
 على أي عمل مما أتى به بعد نبوته بل نبغ في كل ذلك دفعة واحدة حينما ظهر بالنبوة وكلما
 لزمه شيء من أعبائها وجد نفسه أنه أكبر نابغ فيه، فما هذا العلم في تلك الامة؟
 وما هذا الاصلاح ممن نشأ في الوثنية بعيدا عن كل نظام ومدنية؟

كفالك بالعلم في الامي معجزة * في الجاهلية والتأديب في اليم
 تباركت يا الله ان هو الاوحيك اليه وعونك وتأيدك له ولولاك يا الله ما قدر على
 فتح مدينة واحدة ولا تهذيب رجل واحد! فاننا نرى الدول الاوربية بنجلها
 ورجلها وعلما وفنونها ومخترعاتها وأساطيلها ومدركاتها وطياراتها وأموالها وزخرفها
 ومدارسها ومستشفياتها وجميع حيلها وخدمها... الخ عاجزة كل العجز عن
 مناواة دينك أو صد تياره الجارف أو الحيلولة بينه وبين قلوب البشر المترابين
 في أحضانه من كافة الملل والنحل والاجناس في سائر بقاع الارض حتى ضج
 المشركون من ذلك وفزعوا وهم مندهشون (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم
 وبأبي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى
 ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

هذا ولا يخفى أن أنبياء بني اسرائيل أخبروا عما سيحدث في العالم من الحوادث
 التي نهم انهم وقلما نجد في كتبهم غير الانباء عن مستقبلهم الى يوم القيامة فأناؤا

بحادثة مختصر وكورش والاسكندر وخلفائه وحوادث ارض ادوم ونيوى وبابل والرومان وغير ذلك مما تراها ما لثا صفحات المهد المتيق ولا يكاد يخلو منه كتاب من كتبهم وقد اخبر المسيح عليه السلام تفصيلا عن خراب اورشليم وما سيحدث لليهود فيمد كل البعد ان يخبر هؤلاء الانبياء بهذه الحوادث كلها ويتركوا أكبر حادثة حدثت في العالم ولها أكبر علاقة باليهود والنصارى وهي ظهور محمد صلى الله عليه وسلم الذي زلزل أم الارض زلزالا وأوجد أمة ملأت العالم علما وحكمة وعدلا ودينا وعمرت اورشليم وأعادت إليها عبادة الله تعالى بدون شرك أو تشبه وأتى بدين لا يزال مالكا قلوب الملايين من بني البشر وهو الدين الوحيد الذي ناهض ويناهض المسيحية في جميع البلاد الى اليوم وآوى اليهود وحامهم واكسح الوثنية أمامه وافتتح بلاد العالم القديم وابتدأ بعمل عمله في العالم الجديد وحارب النصرانية وغلبها قرونا طويلة ونشر العلم والفلسفة بينهم ونيهم الى اصلاح دينهم بعد ان كانوا غارقين في الاوهام والحرافات اجيالا عديدة ، فهل يعقل ان يترك الانبياء هذه الحادثة ويتكلموا عن غيرها مما لا يكاد يذكر بجانبها ؟

الحق نقول ان الانبياء ما تركوا ذلك بل اخبروا به اجمالا وتفصيلا . كما ستعلم . منذ الازمنة القديمة ولكن أهل الكتاب يكابرون . ومع أن كتبهم محرقة وفاصلة كما بينا لكنها لانزال تشتمل على كثير من بشائر محمد صلى الله عليه وسلم وقد سبق أنا بينا هنا أن كثيرا مما يدعوونه في حق المسيح انما هو في حق محمد صلى الله عليه وسلم وأظهرنا لك بالدلائل أن بشارة دانيال بتحم الرؤيا والنبوة هي بشارة به لا بالمسيح كما يزعمون

ولذلك كان العرب ينتظرون مجيئه في ذلك الوقت لاخبار أهل الكتاب إياهم بذلك واخبار زعمائهم وأما قمتهم وكتبهم كأمية بن أبي الصلت وقس بن ساعدة وسطيح وبجيرا وورقة بن نوفل ، وهذا أمر مشهور معروف في تاريخ العرب ولولا ذلك ما قال القرآن ٤ : ٨٩ (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما

جاءهم ما عرفوا كفروا به) وإلّا لكذبته الناس في هذه الآية ولقالوا له ما كان أحد ينتظر مجيئك ولا يبرفك أحد

وكيف تختم النبوة بالمسيح وهو القائل لليهود (متى ٢٣ : ٣٤) (لذلك ها انا ارسل إليكم أنبياء وحكّاء وكتبه فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة - إلى قوله - ٣٦ الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل) أي أمة اليهود كما يقولون هم أنفسهم في قوله (متى ٢٤ : ٢٩ - ٣٤) وللوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه - إلى قوله - لا يعطي هذا الجيل حتى يكون هذا كله) فكيف إذا يقولون إن الرؤيا والنبوة ختمت به وهو يقول إنها لم تختم بعد وأنه سيرسل إليهم أنبياء ؟ وكيف يدعون أن الحوار بين أنبياء نزل عليهم الروح القدس وعلمهم أشياء كثيرة ومع ذلك يصرون على قولهم إن الرؤيا والنبوة ختمت به ؟ فما هذا التناقض يا قوم وابن عقولكم ؛

هذا واعلم أن البشائر المحمدية كثيرة في كتب أهل الكتاب القانونية وغير القانونية ففي إنجيل برنابا الذي لا يسلّمون به ذكر النبي عليه السلام باسمه صريحاً في عدة مواضع وفي كتبنا القديمة بشائر كثيرة نقلها المسلمون سابقاً عن كتبهم القانونية التي كانت في زمنهم كما في كتاب (الجواب الصحيح) لابن تيمية الذي نقل عن أشميا وحققون التصريح باسم محمد صلى الله عليه وسلم ولكن ذلك غير موجود الآن فيها فيحتمل أنهم محوه منها . ومن تذكر قلة النسخ في تلك الازمنة وعدم وجودها إلا عند رؤساء الدين ووقوع التحريف فيها بالفعل كما يظهر ذلك من الفصل السابق وعدم حفظ أحد لها في صدره وسهولة مسح الكتابة من تلك الرقوق التي كانوا يكتبونها فيها قبل اختراع المطابع لا يستبعد أنهم محوه من جميع نسخهم القديمة والجديدة التي كانت عندهم ولو بالتدريج وقد أخبر المسلمين بذلك بعض اليهود والنصارى الذي أسلموا قديماً وكانوا قد عتروا على هذا التحريف والتبديل كما يتضح ذلك لمن راجع كتب البشائر الإسلامية القديمة ، وعثورهم على هذا التحريف كان اتفاقاً لأنهم ما كانوا يحفظونها في صدورهم وقل منهم من توجد عنده نسخة كاملة من كتب المهديين وهذا بخلاف القرآن الشريف الذي

كان محفوظا في الصدور ونسخه كانت بأيدي العامة والخاصة لعدم وجود رآسة
دينية عندنا ولا انتشار العلوم والمعارف بين المسلمين في تلك الازمنة بينما كان الناس
غيرهم في بحار الجهل غارقين ولذلك كان عند المسلمين علم التقدم العالي (في الحديث)
الذي لم يعرف بين الأوربيين وغيرهم إلا اليوم والذي أصبحوا يفخرون به علينا
ونسوا ما ضييعه المظلم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وانا في هذا الفصل لا أريد أن استشهد بتلك البشائر التي لا يسلمون بها الآن
ولا بالبشائر التي ليست صريحة بل لا أستشهد إلا بما هو واضح جلي من
كبرهم الحالية :-
(يتلى)

الخاتمة على العالم الاسلامي^{*}

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

٩

﴿ مؤتمر كهنوء سنة ١٩١١ ﴾

وقام بعد ذلك القسيس (ك. س.) المبشر في (مدراش) قنلا تقريرا عن مشايخ
الطرق والدرابوش في أفريقية وقدم له مقدمة تاريخية اقتبسها من المؤلفات
الفرنسية . والمعلومات التي تضمنها هذا التقرير هي ملخص كتاب ألفه هذا القسيس
اسمه (الطرق الصوفية في الاسلام)

ثم قال : ان الاسلام أخذ ينتشر في الحبشة وسيصبح شمال الحبشة عما قريب بلدا
اسلاميا . أما «منبسة» وشرق أفريقية البريطانية فلا أثر فيها للدرابوش المبشرين وليس
هناك مجال للاسلام في شمال نيجيريا حتى الايام الاخيرة ، وذلك لما كان يلقاه هذا الدين
من مقاومة القبائل الوثنية له . الا أن الاستعمار الانكليزي قد وطد الامن العام
ومهد السبيل لسياسة المسلمين . وانتشار الاسلام على يد التجار الهوسيين . وفي نيجيريا